الفصل الرابع

بين الحوار والمواجهة

- المبحث الأول : الإسلام بين الحوار والمواجهة.
- المبحث الثاني : الغير بين الحوار والمواجهة.

obeikandl.com

الفصل الرابع

بين الحوار والمواجهة

يعتبر الحوار منظومة تعادلية، وتياراً متصلاً من الأفكار، يسري بسريان العلاقة بين المتحاورين، بل ويمتد الحوار كذلك حال اختلاف الرؤى وتضارب الأفكار، متى استوفى الحوار مقوماته، وتمت شروطه، واستكملت آدابه.

وفي هذا الصدد، إذا كان الأمر حال الاختلاف، فإن الرأي يطرح في مقابله الرأي الآخر، ويسرد كل حججه، ويوضح سلطانه، ويبطل أدلة خصمه، ويفعل الثاني كذلك ، وينتهي الأمر بالطرفين إلى عدم الاتفاق، وإن ظل شريان الحوار متدفقًا.

وقد يصل الحوار إلى طريق مسدود لا رجوع بعده، فيصل الأمر بالطرفين إلى نقطة اللاحوار. ويا ليت الأمر يصل لهذه فحسب، بل ينتقل الأمر باللاحوار إلى المواجهة، المواجهة التي لا مجال فيها للفكر ولا للعقل، بل المجال فيها للقوة. بل إن طائفة من المتغطرسين، سواء على مستوى الفرد أم الأمم، تطرح الحوار جانبًا منذ البداية، منتهجة أسلوب المواجهة. فلا تقيم للفكر وزنًا ولا للعقل حسبانًا. وتلكم هي شريعة الغاب، التي لا تؤمن إلا بالسيطرة واستعمار الغير، بل قد تصبغ أفعالها بثياب من الشرعية، هي بريئة منها. فإن لم تفلح الشرعية في تحقيق مآربها السلطوية. فهاكم المواجهة والقوة، وحدّث ولا حرج عن هذا بين الأفراد والأمم في ظل غياب شرع الله على الأرض. إذ فقد الحوار مكانه الآن، لتحل محله لغة المواجهة، فتجد من اختبره الله في مال أو جاه أو سلطان، لا يعرف لغة الحوار، وإنما لغة المواجهة.

وهكذا في الدول، ترى حوارها حواراً مترهلاً لتضييع الحق أو لإرساء الباطل. فتفعل من الحوارات الكثير ولا تحترمها، ثم تكشف عن وجهها

القبيح، ضاربة عرض الحائط بشرعية الحوار، ولا بما يحلونه عامًا ويحرمونه عامًا، أقصد الشرعية الدولية المزعومة، والتي لم تُستخدم إلا ضد الإسلام وأهله، وللدخول في سراديب السراب، لتحقيق مآربها ومصالحها. بل مما يزيد الأمر سوءًا أن تجد هؤلاء الذين يرفعون رايات المواجهة يطعنون في الإسلام، بزعم أنه لا يعرف لغة للحوار، وأنه بينه وبين الدماء معاهدات، فهو لا يعرف إلا لغة الدم، وتاريخه حافل مليء بالإرهاب والمواجهة. فيقولون: وهاكم ما تزعمونه من إسلام يشرع القتال من أجل فرض الرأي وسفك الدماء. بل، ويسمون المسلمين بذلك، والقصد الإسلام، مطالبين المسلمين بلغة السماحة والاَعتدال ونبذ الإرهاب وما تدعو إليه مناهج المسلمين، وفي كتبهم. من شعارات تحريضية تبث الكراهية ضد الآخر. فأي زمن هذا الذي نعيش فيه؟! أمم لا تعرف الحق والعدالة منهجًا، أمم تعلن الكذب والاحتيال شعارًا، أمم تبث سمومها لتحقق أغراضها، ولا ندري من الذي حفل تاريخه بالدماء؟

من الذي يمتلك أسلحة الدمار الشامل أساسًا؟!

من الذي استعمر الشعوب ونهب الثروات؟!

من الذي اغتصب الأراضي وهجر أهلها ودمر بنيتها؟

إن الإحصائيات تقول إن ما شهده القرن الأخير من قتل ودمار فاق كل ما كان في القرون الخالية. ومع ذلك، فسنعرض صفحة الإسلام البيضاء النقية، في مواجهتها، كما عرضناها في حوارها، ثم ننتقل إلى الغير والواقع الأليم، لنعلم من الصادق ومن الكاذب؟ والواقع خير شاهد.

وإزاء ما سبق، يدور الفصل الحالي حول مبحثين اثنين :ـ

- **المبحث الأول: الإسلام بين الحوار والمواجهة.**
- **المبحث الثاني: الغير بين الحوار والمواجهة.**

المبحث الأول

الإسلام بين الحوار والمواجهة

لقد كتب على الإسلام في هذه العصور أن يكون مظلومًا، نعم، مظلومًا بين أهله. فكيف بغير أهله؟!!

ظلم الإسلام بين أهله، فما عرفوا للإسلام حقه، ولا قدروا له قدره. فلقد حمل الإسلام مشعل الهداية والنور عبر آلياته المختلفة من عبادات ومعاملات، فترك الناس الإسلام إلا ظاهرًا، فضاعوا وأضاعوا وحُرموا من الخير الكثير، فبات من في قلبه مرض يضرب في الإسلام ضربًا ويطعنه بعدم الصلاحية، رغم أنه لم يجد الأرض التي تطبقه حق التطبيق، ولا الأشخاص الذين يطبقونه ويقومون به حق القيام، بعد عصور الإسلام الأولى.

فلمَ تظلمون الإسلام، رغم أنه لم يجد نور التطبيق؟!

لمَ تلبسون الحق بالباطل، وتكتمون الحق وأنتم تعلمون؟!!

وتعالوا على عجالة لنعرف أين نحن من الإسلام؟! وأين الإسلام منا؟!! فمنحى الإسلام الأول العقيدة، عقيدة التوحيد، التي توحد الله عز وجل في كافة تصرفاته، لا تركع ولا تسجد إلا لله، تحتمي بحماه، وتسأله، وتستعين به وتتوكل عليه، وتبتغي الرزق عنده، وتفوض أمرها إليه، لا تعرف للأشخاص سلطانًا، عند الله، فكيف يكون معه؟!! أو لها فقط؟!!

تعطي لكل حقه وقدره، فالعبد ليس إلا عبدًا، وإن كان رسولاً فليس له من صفات الألوهية من شيء، فكيف بمن هو أدنى؟!! والرب له العبودية الكاملة، تؤلهه بقلبها وقالبها، تتبعه في الشعائر والشرائع، انطلاقًا من كونه الملك، الذي لا شريك له في سلطانه. فلا تحلل الحرام، ولا تحرم الحلال. وإن اجتهدت ففي

إطار شرع الملك، الذي بيده الأمر والنهي، لا بيد جهال العباد، تلك العقيدة التي لا تعرف إلا الله عز وجل، فهو بيده النفع، ويقدر الضرر. فلا تؤله الأسباب، تعرف أن الله عز وجل بيده الأمر كله، وإليه يرجع الأمر كله، وكل خاضع تحت سلطانه، فالبلاء منه لا من الطبيعة، والأرزاق بيده، وإن تظاهر المتظاهرون بغير ذلك، والضرر هو يقدره اختباراً وابتلاءً، فليس لأحد سلطان على الأرض إلا بإذنه، فلا يخرج فعل إلا برضاه، فلا يملك أحد النفع، فضلاً عن الضر لنفسه، فكيف يملكه لغيره؟!!

أما الواقع، فحدث ولا حرج، في مجتمع لا يعرف من يرزقه عملاً، فترى منه الخضوع والخنوع للأشخاص، تعظيمًا وذلاً، رغبةً ورهبةً، ابتغاء النفع ومنع الضرر بزعمهم. ترى من الواحد الركوع والسجود للأشخاص، والابتهال والتأله له، ولا يعرف ربه إلا عند المصيبة. ثم لا يلبث أن يعود ثانية بعد رفع البلاء.

ترى سوط الرهبة قائمًا، من شخص لو أصيب بمرض لصرخ منه، ومع ذلك ترى الناس فزعين هيابين وجلين من هذا وذاك، ولو على حساب أوامر الله، ولو تخاذلاً عن أداء واجبات الدين.

على النقيض، تجدهم مجترئين على حدود رب العالمين، ولا تسمع منهم إلا أن الله غفور رحيم، مع حالهم هذا؟!!

إذا قلت لهم أمر الله في هذا كذا، ترى منهم الجدال والمحاجة. وإن قارعتهم بسلطان الحجة، لا تجد منهم إلا الخوف والرعب، ممن لا يملك لنفسه شيئًا، فكيف لغيره؟!!

تذكرهم بالقضاء والقدر، وبأن كل شيء مكتوب، لكنهم لا يؤمنون إلا بالمنظور!!!

تذكرهم بآيات القضاء والقدر، فيكملونها لك، لكنها لا أثر لها في قلوبهم ولا أعمالهم.

وحدث عن عبادة بعضهم، تراهم يؤلهون الأموات، ويسألونهم، ويستعينيون بهم ويستغيثون؟!!

أموات يستغاث بهم؟!! سبحان الله؟!!

أموات يطلب منهم النفع؟!!

إذن، لماذا جاءت الرسل وأنزلت الكتب؟!!

إذن، لماذا ضل غير المسلمين!!

هل هذا هو الإسلام الذي يدعى به غير المسلمين؟!!

ولم يفعله الرسول ﷺ، ولا صحبه الكرام؟!!

فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون؟!!

ترى تشريعات ما أنزل الله بها من سلطان؟!!

من أتيتم بها؟ أليس دينكم الإسلام؟!! وربكم الله؟!!

إذا كنتم تحصرون الشرع في العبادات، على النحو المتقدم، وتحسرونها عن المعاملات، فأين الإسلام إذًا؟!!

أنزل الله تشريعه لنطبق ترهات البشر؟!!

الوحي الذي أنزله الله من فوق سبع سموات ينحى تحت مزاعم ما أنزل الله بها من سلطان، ثم ننتظر النصر والرزق؟!!!

إن البون شاسع بيننا وبين عقيدة الإسلام، إذا لا تجد منا إلا الكلام والقول، دون الفعل والعمل.

أما عن العبادات، فلقد شرع الله العبادات من صلاة وزكاة وصيام وحج، كيما تتوثق الصلات بين العباد وربهم، ويحدث التكافل الاجتماعي، وتتطهر النفوس ظاهرًا وباطنًا، فأين نحن من ذلك؟!!

أما عن الصلاة، فكم من الناس يصلون؟!!

والباقي، أليسوا مسلمين؟!!

ومن يصلي، هل يصلي عادة أم عبادة؟!!

ثم، هل صلى كما صلى النبي ﷺ، أنا على يقين جازم من انتفاء ذلك!!

وحال الناس معلوم، وصفة صلاته ﷺ معلومة؟!

وهذا في الصلاة، فكيف بغيرها؟!!

وإن صلى، وفتح الله على الإمام ببضع آيات، كيما تشفى صدورنا، ونرتاح بها، ترى الدنيا تقوم ولا تقعد، ولو كان ذلك في الدنيا، فهنيئًا بها!!

ثم من يصلي الصلوات في جماعة؟!! وهل من يصلي في البيت لديه أعذار النساء أو غيرها؟!!

وماذا أثمرت الصلاة في قلوبهم؟!! وواقع الحال يغني عن المقال!!!

أما الزكاة، فلقد سمعت من البعض أنه لا يعرف أن هناك زكاة تفرض على المسلمين؟!!

وهل كل من يعرفون يدفعون الزكاة؟!!

وهناك من يستفتون ليجدوا مبررًا لدفعها لذويهم، رغم أنهم لا يستحقون!!

ولو دفعت زكوات المسلمين في مصارفها الشرعية على مستوى أمة الإسلام، فهل تجد هناك فقيرًا؟!!!

أما عن الصيام، فهم يمنعون الأكل والشرب والمباح، ويأتون المحرمات!!

ترى الظلم وأكل أموال الناس بالباطل والغيبة والنميمة والعكوف لرؤية المحرمات!!!

أهؤلاء يفهمون معنى الصيام؟!!

أما الحج والعمرة، فترى العجب، إذ إن الإحصائيات تقول إن قليلاً مما يحجون هم الذين يؤدون حجة الفريضة، أما الأكثرية، فهم يكررونها المرة بعد المرة، وبجانبهم الفقراء والمساكين والمرضى والمعوزين، والضعفاء والمحتاجين. وعلى بُعد كيلو مترات، أمم تذبح، تنتهك أعراض نسائها، ويقتل رجالها، وترمل نساؤها، ويتيم أطفالها، ويبطش بشيوخها، وتقتلع أراضيها وتدمر بنيتها، ويهجرون من منازلهم. وما زالت الدماء تنزف يومًا بعد اليوم، وهذا في شتى بلدان العالم الإسلامي. فإن انتقلنا إلى الداخل، ترى فقر طلبة العلم والعلماء، لاسيما الوافدين والوافدات من الخارج للتعليم. تراهم يحتاجون إلى أقل القليل، والكل معرض عنهم، حتى إن أفواجًا كاملة كانت ستعود إلى بلادها، وغير ذلك من الأبواب المفتوحة التي لا تُسدّ قطّ، فأيهما أولى يا أرباب العقول؟!!

إن الإسلام كما يحتاج إلى العلماء، يحتاج إلى أموال، للقيام بالدعوة على أحسن ما يكون. إن التبشير ينطلق في كل مكان، ومع الدعم المادي والمعنوي، معهم المليارات وتراهم يقدمون أفخم الخدمات وأعلاها، فكيف بالإسلام؟!!

وأين أمة الإسلام من ذلك؟!! وهل السماء تمطر ذهبًا أو فضة؟!!

وكيف ينتشر الإسلام في الخارج؟! أم سينتشر بالقيل والقول فقط؟!!

يبدو أننا لم نفهم الإسلام حق الفهم، ولذا ظلمناه وظلم معنا.

أما عن فقه المعاملات الأخرى من بيع وشراء وإيجار وشركات وغيرها، فإن جل الناس لا تعرف عنها شيئًا!!

فكيف تحلّ الحلال وتحرم الحرام فيها؟!!

وهذه من الكوارث المطبقة ببلاد المسلمين إزاء تطبيق القوانين الوضعية، إذ يلزم المسلمين تعلم أحكام دينهم في هذه المسائل؛ حتى لا يقعوا في محرمات المعاملات، وهم لا يدرون!!

وإن كثيراً من أفعال المسلمين في هذا الجانب، هي من المحرمات المقطوع بها، والناس غارقون فيها.

أما عن الربا، فحدث ولا حرج كذلك، والمهم هذه الأموال كم تأتي بفائدة؟!!

أما التأمين، فمن منا يطبق التأمين التعاوني؟! أما عن التأمين المحرم فحدث ولا حرج، وإنا لله وإنا إليه راجعون!!!

أما عن القمار المعاصر والمسابقات التليفزيونية، فالمهم الربح المادى؟!! وليس بعد ذلك شيء.

وإذا تحدثنا عن النظم المعاصرة : سياسية واقتصادية ومالية واجتماعية وإدارية وجنائية ودولية، فالناس تسمع عن مصطلحات ونظريات وتصورات، وتتكلم بها، وتنطق بلسانها، وتنادي بها، وتسعى إليها، وتجري وراءها، فأي حسرة تلك؟!! وأين هي من الإسلام؟!!

أما عن الأخلاق، فلقد أصبحت تتوارى بعد المصلحة وبعد المادة، ويزن الفرد أفعاله وأقواله طبقًا لذلك، ولو طعن الأخلاق في مقتل، ثم يظن نفسه مسلمًا كامل الإسلام؟!!

فهل هذه الأمور، وهي نقاط من بحور الظلمات التي نحيا فيها ليل نهار، تمتّ للإسلام بصلة؟!!

هل هذا هو الإسلام الذي أنزله الله على رسوله ﷺ؟!!

ثم يأتي بعد ذلك أناس يطعنون في الإسلام بعدم الصلاحية؟!!

فأين الإسلام أساسًا؟! وأين هم المسلمون فعلاً؟!!

وإذا ظلم الإنسان بين أهله، فماذا تنتظر ممن لايرتضونه لهم دينًا؟!!

وإذا كان المسلم فاقداً لإسلامه، فكيف يعطيه لغيره؟!!

كيف ننقل دعوة الإسلام للخارج؟!!

والغير يخلط حال المسلمين ويربطه بالإسلام، وما درى أن المسلمين لم يقوموا بإسلامهم حق القيام، إنما لا يعرفون من الإسلام إلا رتوشًا قليلة، فكيف بالعمل؟!! حيث كان ظلم الإسلام عامة، كما تقدم، متفشيًا فكيف في قضيتنا هذه، الحوار والمواجهة!!

إن الإسلام قد دعا إلى الحوار مع النفس والذات، ودعا إلى حوار الآخر رحمة به، وإنقاذًا له من ظلمات الكفر، إلى نور الإيمان، وأخذًا بيده إلى توحيد الله عز وجل. ورايته في هذا كله الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن. قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ (النحل: 125). بل أمر الله تعالى بمحادثة أهل الكتاب خاصة بالتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ (العنكبوت: 46).

انظر سمت الوحي الإلهي.. انظر إلى الدين القيّم.. انظر إلى صبغة الله ﷻ.. مجادلة بالتي هي أحسن، لا بالحسنى فقط، ولكن بالتي هي أحسن. فإن أبوا الدخول في الإسلام بعد دعوتهم إلى الإيمان بالله وتوحيد، فلا نملك إلا أن نقول صراحة وجهراً: نحن المسلمون، إعلاء لكلمة الله عز وجل، وتحفيزاً لهمم من ابتعدوا عن الحق.

ونظراً لعظمة الإسلام، وكماله، واحتوائه كل ما فيه خير للبشرية، وأنه يجعل المساواة من أهم دعائمه، فلا فضل لشخص على آخر إلا بالتقوى. قال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ (الحجرات: 13). وقال رسول الله

ﷺ "إن الله لاينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم" .

فلا تمييز لجنس ولا لعصبية ولا لطائفة ولا لفئة، فكل الناس من تراب، وكلهم من نفس واحدة، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾(النساء: 1)

فهذه عظمة الإسلام، ولكن تأبى طائفة أن يتساوى الفقير بالغني والضعيف بالقوي. هذه الفئة تريد أن تستعبد الناس، وتجعلهم رقيقًا لديهم، يعبدونهم ويؤلهوهم، يريدون أن يستأثروا بكل شيء، يريدونها كلأ مباحًا بلا ضابط أو رابط، يريدون المال والجاه والسلطان والنساء. يريدون أن تكون الكلمة كلمتهم لا كلمة الله. يريدون الظلم والبغي والتكبر والتجبر، وإن قلت لهم خلوا بين الناس ودين ربهم، خلوا بين الناس وفطرة بارئهم، استكبروا وتجبروا. لا تجعلونها فتنة تصد الناس عن الله عز وجل، لا تصدوهم بالحرب الإعلامية، لا تصدوهم بالحرب النفسية، لا تصدوهم بالحرب الأمنية، لا تصدوهم بالحرب الاقتصادية، ما الذي يضيركم أن تؤمن الناس كلها لله؟!

ما الذي يضيركم أن يدخل الناس في دين الله أفواجًا؟!

ما الذي يضركم أن تكون كلمة الله هي العليا؟!!

إن الإسلام دين الرحمة، والعدالة، والمساواة، والخير، والرشد، والهداية، والصلاح، والإصلاح. إنه الدين الذي اختاره الله عز وجل لختام البشرية. إنه الوحي الأخير من السماء إلى الأرض.

ولنحتكم للحق، نحتكم للديموقراطية المزعومة، أليس من الحقوق التي تزعمونها حرية التدين، لماذا تحجرون على عقول الناس؟!!

لماذا لا تتركون فرصة لبث دين الله عز وجل؟!!

(□) صحيح مسلم برقم(2564).

لماذا تصادرون بعض الكتب من دولكم؟!!

أين حرية التدين المزعومة وسط هذه الحرب المسعورة على الإسلام؟!!

اتركوا الإسلام يفصح عن نفسه، لماذا تحاربون الإسلام ثم تزعمون حرية التدين؟!!

لماذا تقفون أمام فطرة الناس؟!!

إن الإسلام لا يكره أحداً على الدخول فيه، قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ (البقرة: 256) وقال تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ (يونس: 99) وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ * لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾ (الغاشية: 21ـ22)، وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ (الكهف: 29).

هذا هو الإسلام، لا يكره أحداً على الدخول فيه. لا يجبر أحداً على اعتناقه، لا سبيل لأحد في فرض الإسلام على الناس. كل إنسان حر في أن يعتنق ما يشاء. كل له الخيرة في أن يكفر قبل أن يؤمن. لكن هذا بعد بيان الحق، وتبيان الإسلام، لترى الناس عظمته، ولتعرف ما هو الإسلام، وحتى يكون المناخ مهيئاً للإسلام لمن أراد أن يسلم. أما أن تكون حرباً ضروساً على الإسلام، لمنع الناس في الدخول في الدين، وفتنة الناس عن دينهم، ومحاربتهم بكل وسيلة، حتى يعرف الناس الحق، فهل يرضى بهذا عاقل؟!!

إذا منع شخص الخير عن طائفة، ولم يفلح الحوار معه، وتسلط وبغى، فما الحل؟!!

كيف يصل الخير للناس؟! كيف يصل النور للناس؟!!

من هنا شرع الجهاد في سبيل الله عز وجل لمنع من يفتن الناس عن دينهم، وبعد ذلك فالحرية لكل فرد، فالكل يختار ما يراه. أما أن يسام كل من يتمسك بالدين سوء العذاب، ويذبح أبناؤه، وتستحيى نساؤه، فأين حرية التدين تلك؟!!

هذا هو منهج الإسلام في هذا الشأن، والتاريخ شاهد بذلك. فما أكره أحداً على الدخول في الإسلام قط، وإلا لم يكن هناك أحد غير المسلمين موجود الآن، خاصةً في ظل خلافة استمرت ثلاثة عشر قرنًا من الزمان. بل أكثر من هذا، لقد نَعمَ غير المسلمين تحت شرع الله ما لم ينعموا في غيره.

فهذا حَوار الإسلام، وتلك مواجهته، الرحمة في الأولى، والسماحة في الثانية، مواجهة لإزاحة من يمنع الخير عن الناس، إن أباه؟!!

مواجهة لتحقيق الخير للناس، مواجهة لإيصال النور للبشرية، مواجهة فيها من القواعد والأصول ما لم يطبقه من ينادون بحقوق الإنسان زوراً وبهتانًا. إن الإسلام حتى في مواجهته لا يتعرض لامراة، ولا لطفل، ولا لشيخ، ولا لعجوز، ولا لراهب في صومعته، ولا لأجير في إجارته طالما لم يكونكوا من أهل القتال أو معاونيهم بأية صورة. إن الإسلام لا يدعو إلى تدمير الثروات، ولا البطش بالناس والتنكيل بهم، ولا إتلاف المزروعات ولا المرافق الرئيسية للبلاد.

إن الإسلام دين الإنسانية، دين الرحمة. إن الإسلام يحترم المواثيق والعهود. قال تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ (الأنفال: 72)، فإن خانوا، نُعْلمهم أولاً بالحرب من جانبنا، وإن عادوا إلى السلم نَعدْ له. قال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (الأنفال: 61). بل، ولو كان في نيتهم الخداع، قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: 62). وإن كان هناك أسرى، فحدث عن حسن المعاملة، بل جعلها الله تعالى من القربات ومن الأعمال العظيمة. قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ (الانسان: 8ـ10).

هذا هو الإسلام حواراً ومواجهة ، فكيف بحوار الغير ومواجهته؟!!

obeikandl.com

المبحث الثانى

الغير بين الحوار والمواجهة

رأينا كيف أن الإسلام دين راق سمح، الرحمة سمته، والإنسانية رايته، يحتكم إلى الحوار مع أهل الحوار، ويعظم الحوار متى ظهرت جدواه، ويريد الخير للناس، وإيصال الحق للبشرية أجمعين، بلا كره ولا إكراه، فأين حوار الغير ومواجهته؟!!

أما عن حوار الغير، فلقد رأينا شعارات ترفع، ورايات تنمق، ومصطلحات تسبك، لكن لا تجد صدى إلا عند الغير ولمصلحته. أما حين يخص الأمر الإسلام وأهله، فتخفض تلك الشعارات المرفوعة، وتتوارى تلك الرايات المنمقة، وتختفي المصطلحات المسبكة. تسمع عن الديمواقراطية، تسمع عن حقوق الإنسان، تسمع عن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، تنظر لميثاق الأمم المتحدة، تنظر عند التطبيق لدى المسلمين، فلا تجد شيئًا يذكر من هذا. وكفى بفلسطين حجة، والتي صدرت عن تلك المنظمة العالمية ـ منظمة الأمم المتحدة ـ قرارات وقرارات بشأنها، لكنها لا، ولن تطبق؟!!

حينما تعقد المعاهدات، وهي نوع حوارات، وتدشن العهود والمواثيق، ثم تجد نقضها في كل مرة، لا تجد احترامًا لعهد ولا لميثاق، فأي حوار هذا؟!!

وإن جلست مع الغير متحاوراً، فلا تجد إلا الأقوال المرسلة والكلمات المطلقة، أين هذه من التطبيق؟!!

أيها الغير المتحاورون: لماذا لا تطبقون ما تقولون؟!! لماذا؟!!

لماذا هذه الحرب في كل مكان ضد المسلمين؟!!

هل من رقي الحوار، أن يطعن الإسلام بلا أدلة تؤيد ذلك؟!!

هل من رقي الحوار ألا تتاح الفرصة لبيان حقيقة الإسلام؟!!

ثم هل من العدالة أن يضرب القوي الضعيف، ويستأثر الغني بثروات الفقير؟!!

أين الحوار في ذلك؟!!

هل من الحوار أن يعطي الغير نفسه الحق في أن يمنح هذا، ويمنع هذا، ويضرب هذا، ويقتل هذا؟!!

هل من الحوار أن تباد شعوب بأكملها، ويضيق عليها الخناق اقتصاديًّا؟

هل من الحوار أن يقتل الأطفال، وترمل النساء، وتنتهك أعراضها، ويباد الشباب؟!!

هل من الحوار أن يحلون ويحرمون بحسب المصالح والأهواء؟!!

أين العدل في ذلك؟! أين الضمير الإنساني؟!! أين لغة الحوار؟!!

هل من الحوار أن يحجر الغير العلم والخير والثروات وأن تظل دائمًا تابعًا له؟!!

دلونا على حوار واحد أثمر ينعه، إن لم يكن لهدف خفي أو تضييعًا لوقت أو تمريراً لهدف أكبر أو غيره من فنون الخداع في الحوار.

هذا عن الحوار، فكيف بالمواجهة. إن مواجهة الغير لا تحمل إلا كل قسوة للإنسانية. نعم القسوة والتدمير، وانتهاك الأعراض، وقتل الأطفال، وإبادة الآلاف، وتدمير للبنية التحتية، وهدم للثروات، وإبادة لقرى بأكملها، بلا رحمة ولا إنسانية، مع البطش والتنكيل، والإتلاف والتقطيع، وغير ذلك.

فإن كان هناك أسرى، فحدث عن اللاإنسانية، حدث عن معاملة الأنعام لا الإنسانية، حدث عن تضييع الحرمات، حدث عن أشد أنواع التعذيب لاستخراج المعلومات، حدث عن إهدار الآدمية. وفي هذا، فحدث ولا حرج.

وكل ذلك من أجل ماذا؟!! من أجل تحقيق المحبة والسلام؟!! من أجل تحقيق الخير العام والوئام؟!!

من أجل أن يسود الأمن والأمان والاطمئنان؟!!

من أجل تحقيق العدالة والمساواة وكافة حريات وحقوق الإنسان؟!!

لا، إنه من أجل أن يسود تحريفهم ظلمًا وبغيًا؟!!

من أجل أن تفرض على الناس قهرًا وقسرًا؟!!

من أجل، الحصول على منابع الثروات واستعمار الناس دينيًّا. وسياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا وفكريًّا وإعلاميًّا وأمنيًّا وغير ذلك.

أين حقوق الإنسان في هذا الموطن؟!! أين حريات الإنسان؟!!

بل أين الحوار؟!! وأين لغة الحوار؟!! أين الإنسانية؟!!

أين الضمير؟!! أين الحق؟!!

بل أين أنتم من رقي الإسلام ومن عظمة الإسلام؟!!

أين أنتم من سماحة الإسلام ورحمة الإسلام؟!!

أين أنتم من إنسانية الإسلام وعدل الإسلام؟!!

أين أنتم من حوار الإسلام ومواجهة الإسلام؟!!

شتان شتان، بين الخير والشر، بين القول والفعل، بين الشعارات الزائفة والحقائق الملموسة.

فهلموا وتعالوا لتتعلموا كيف حوار الإسلام؟!!

هلموا وتعالوا لتتعلموا كيف مواجهة الإسلام؟!!

هلموا وتعالوا لتتعلموا من الوحي الإلهي!!!

هلموا وتعالوا لتتعلموا من الخير والنور والهدى، رحمة بالإنسانية، وشفقة بها، إذ بعد أن وصلت إلى أعالي التقنيات، ارتكست أيما ارتكاسة في الجانب المعنوي والروحي والإنساني.

إن حضارة لا تقيم وزنًا ولا اعتباراً للإنسانية، لا تعترف إلا بالمصلحة أو الهوى، لا تنظر إلا للمادة أو السيطرة. لا تعترف إلا بالقوة وبشريعة الغاب، لا تعرف معنى للرحمة ولا للعدالة لا المساواة، فقد آذنت بالرحيل، إذ لا تصلح تلك الهمجية لبني الإنسان، ولا تنفع شريعة الغاب في قرار ولا استقرار، ناهيك عما هي مستفحلة بداخلها من انعدام الأمن والأمان، وتشريع الشذوذ واللواط، والتفكك الأسري، والتهلهل الاجتماعي، وانعدام المعاني الروحية، وانتفاء السمات الأخلاقية، وإعلاء شأن المادية البغيضة حتى ضاع المعروف، وانتفى الخير، وسادت العداوة والبغضاء، والحروب والصراعات. وزاد الهرج والمرج، في كل أنحاء العالم، وما خلق الله البشرية لتشقى هكذا، ما خلقها ليعيش العالم على أنهار من الدماء لا تنتهي، ما خلقها ليرتكس العالم كله، الارتكاسة المعاصرة في كل جنبات الحياة.

والحاصل من كل ذلك، أن للحوار مجاله، وللمواجهة مجالها، ولكن بالحق وللحق، ومن أجل الحق. وهذا هو شعار الإسلام قولاً وعملاً، سلوكًا وتطبيقًا، على ممر العصور والأمصار، والأمكنة والأزمان بخلاف الغير، والذي لا يعرف للحوار لغة، ولا للمواجهة مبدأ، وواقع الحال يغني عن المقال!!